تدريس مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها وفق المهام والوظائف اللغوية

1.نشأة التعليم وفق المهام اللغوية:

إنّ تعليم اللّغات الأجنبية بما فيها اللّغة العربية للناطقين بغيرها وفق مبدأ المهام والوظائف اللّغوية أحد الاتجاهات الحديثة في تعليم اللّغات الأجنبية بشكل عام، والعربية بشكل خاص. ويندرج تحت باب التعليم وفق المضمون، ولا يزال النقاش قائما حول هذا المذهب بين منظري تدريس اللّغات الأجنبية والباحثين الميدانيين، مع تزايد مطرد في عدد الدراسات التجريبية خاصة عند الغرب، وسنحاول من خلال هذا المبحث الإفادة من هذه النظرية بهدف تطبيقها في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها، لما له من أثر ايجابي في تحقيق الكفاية التواصلية لدى الراغبين في تعلمها من الأجانب؛ حيث يقوم التعليم وفق هذا المبدأ على قيام المتعلم بالمشاركة الفعالة في عملية الاتصال والتواصل باللّغة الأجنبية. فيعرّف التعليم وفق المهام اللغوية بأنه نشاطات قائمة بذاتها كوحدات أساسية، تتطلب الفهم والإنتاج والقدرة على التلاعب بالفكرة؛ إذ يمكن القول أنّ تعليم اللّغات مع بدايات القرن الحادي والعشرين أضحى يركز على التدريس القائم على المهام اللغوية لأهميته وانعكاساته المهمة على تصميم المناهج، والتعليم في الغرف الصفية وتقييم المتعلمين. حيث أثر هذا المدخل التعليمي على مسار الدراسات النظرية والعملية، والسياسات اللغوية في تعليم اللغات الأجنبية في كثير من بلاد العالم.

تعود نشأة إدخال المهام اللغوية في مجال تعليمية اللغات بما فيها الأجنبية ضمن المناهج التعليمية المختلفة إلى أواخر السبعينات، وذلك للبناء على معارف المتعلم، حيث أظهرت الدراسات اللسانيات النفسية والاجتماعية والتربوية دافعية أكبر في تعلم اللّغة إذا جاءت في سياق ما يحبه الدارسون ويرغبون في تعلمه، كما أن اللّغة تكتسب بشكل أفضل إذا جاءت في موضوعات مثيرة للاهتمام وممتعة بالنسبة للمتعلمين، وبالتالي تصبح العملية (التعليمية/التعلُميَّة) للغات الأجنبية اكثر فاعلية إذا جاءت في سياقات طبيعية وحية. وتعد فرصة كبيرة للمعلم والمتعلم على حد سواء في التعامل مع النصوص الحقيقية من المستويات الأولى إلى مستوى التمكن والاستقلالية. وهذا يحقق للدارس الكفاية التواصلية في مهارات اللغة الثلاثة: القراءة، الكتابة والمحادثة في مجالات علمية مختلفة. ومن كبار اللسانيين الذين تبنوا هذا المنهج ووضعوا أسسه وحددوا معالمه: نونان(Nunan1989)،ويليس(Willis 1996) ، وإليس(Elliss2003).

2.تعريف المهمة اللغوية التواصلية:

"يعرفها(إيليسEllis,R) بأنّها خطة العمل التي تتطلب من المعلمين المعالجة اللّغوية العملية من أجل تحقيق دخل لغوي يمكن تقييمه من حيث درجة الصحة والتناسب، وفيها يتم تقديم محتوى لغوي مقترح تحقيقا لهذه الغاية، ويتطلب ذلك توجيه الاهتمام نحو المعنى، والاستفادة من الأشكال اللغوية المباشرة وغير المباشرة التي تستخدم في المهمة؛ مما يدفع الطلاب إلى اختيار واستخدام هذه الأشكال اللغوية بما يقرب هذه المهمة من الصورة الحقيقية لاستخدام اللغة في مواقفها الطبيعية؛ وبالتالي يتحقق لمنفذي المهمة الانخراط اللغوي بصورتيه: الاستقبالية، الإنتاجية، وتنمو المهارات اللغوية والعمليات المعرفية الخاصة بتعلم اللغة".

ويعرفها(برين) بأنّها تعني أية محاولة لتعلم اللغة التركيبية، لها هدف معين ومحتوى ملائم، تتضمن أداء عمل معين، وحساب معدل انجاز أولئك الذين يؤدون المهمة، ومن المفترض أن المهمة تشير إلى خطط عمل تهدف إلى تسهيل تعلم اللغة، بحيث تندرج من نوع التدريب البسيط المختصر إلى الأنشطة الأكثر تعقيدا وطولا مثل الحل الجماعي للمشكلات واتخاذ القرار.

وعرفها ديفيد نونان (David Nunan) بأنّها: «العمل المتمحور حول المتعلمين بهدف تدريبهم على التفاعل وفهم ومعالجة وإنتاج اللغة الهدف، حيث يركز المشاركون في المهمة اللغوية على توجيه معرفتهم بقواعد اللغة نحو التعبير عن المعنى بدلا من التركيز على الشكل وينبغي أن يتوافر لديهم أيضا شعور بالتواصل والتعاون الكامل من بداية المهمة إلى وسطها وصولا إلى تحقيق هدفها النهائي».

نرى أنّ التعريفات المذكورة سابقا للمهام اللغوية التواصلية تخدم المنظور التفاعلي التواصلي لتعليم اللّغات الأجنبية بما فيها العربية للناطقين بغيرها فالمهمة اللغوية كما يعرفها هداية هداية إبراهيم هي «عملية توفير بيئة صفية تساعد المتعلمين على اكتساب اللّغة وتعلمها بصورة عرضية في مواقف حقيقية تفاعلية تواصلية للغة وذلك باستقبالهم للدخل اللغوي المُضَمَن في المهمة اللغوية، وتوزيع الأدوار على المشاركين فيها؛ حيث يتعاونون فيما بينهم محاولين استيعاب هذا الدخل اللغوي وفهمه والتفاعل معه؛ وصولا لتحقيق منتج لغوي مناسب لأهداف المهمة، ويمكن استثماره فيما بعد في المواقف اللغوية التواصلية المشابهة؛ بما يجعل لتعلم اللغة قيمة ومعنى لدى متعلمي اللغة المشاركين في المهمة، والذين أصبحوا على وعي بالدخل اللّغوي المقدم لهم ».

3.المهام اللغوية التواصلية -معايير بنائها ومكوناتها-:

يراعى في بناء المهام التي يكلف بما المتعلمون اعتبارات تتمثل فيما يلي:

- يجب أن يكون من السهل على أي متعلم بدء العمل بها
- تكون معقدة ومركبة، ويتوافر أكثر من مدخل لحلها
- تعمق لدى المتعلم الإحساس بالفهم؛ إذ يجب أن تدعو المتعلمين لاتخاذ قرارات وعمل تنبؤات قابلة للاختبار.
- تشجع المتعلمين على طرح أسئلة، مثل: ماذا لو؟
- تدعو للمناقشة والاتصال والتعاون والتفاوض بين المتعلمين
- تتسم بالمتعة وإثارة حماس المتعلمين، وبها عنصر المفاجأة
- قابلة للامتداد
- تسمح للمتعلم بالتعبير عن ذاته

وتتكون المهام من:

- **الأهداف:** اتصالي، لغوي بحت، اجتماعي، ثقافي ...الخ
- **المدخلات:** مقالة أو خبر من جريدة أو مجلة، قوائم طعام، مجلات كرتونية، كاريكاتير، نصوص مسجلة، بطاقات، خرائط ...الخ
- **الإجراءات:** ماذا يفعل المتعلم بالمدخلات وتوجيهات المدرس
- **دور المعلم:** يعتمد على طريقة التدريس التواصلية أو الا

4.علاقة المهام اللغوية التفاعلية التواصلية باكتساب اللغة العربية للناطقين بغيرها:

لقد أكدت العديد من الدراسات قديما وحديثا، عربية وأجنبية كدراسة (Swan, M.1985)، دراسة (رشدي أحمد نعيمة ومحمود الناقة عام 2006م)، دراسة (هان تشوغ عام2011م) ودراسة (هداية هداية إبراهيم عام 2014م) على أهمية تعليم اللغات وفق المهام التواصلية التفاعلية، في تصميم وإعداد المناهج والبرامج التعليمية على مستوى: الكتب والموارد التعليمية، والمحتوى المقدَّم، وطرائق التدريس المستخدمة والأنشطة اللغوية والوسائل المستخدمة وأساليب التقويم، وضرورة تقديم مهارات اللغة وعناصرها من خلال مواقف حقيقية تواصلية تفاعلية ، تساعد على الاستخدام الطبيعي للغة.

فتعلم اللغة وفق المهام التواصلية يتيح الفرصة لمتعلم اللّغة أن يتعرض بصورة مباشرة وطبيعية غير مخطط لها بصورة كاملة لمواقف تفاعلية تواصلية يستطيع من خلالها ممارسة اللّغة والتواصل بها مع أطراف متعددة؛ مما يوفر له فرصة كبيرة لاكتساب عناصر اللّغة ومهاراتها بصورة لا شعورية وغير مباشرة، كما أنّ تعلم اللّغة تواصليا رغم إتاحته فرصة للارتجال إلا أنّه يخطط جيدا لتعلم بعض المهارات اللغوية اللازمة للنجاح في الموقف التفاعلي التواصلي، كما يقدم تدريبات وأنشطة لغوية تساعد على تعلم تلك المهارات المستهدفة وضبط وتوجيه ما تم اكتسابه من مهارات (تعلم اللغة)، فهو يجمع بين اكتساب اللغة بصورة عفوية غير مخطط لها، وتعلم اللغة بصورة مخطط لها حسب طبيعة النشاط اللغوي الذي يتم تعلمه.

وينطلق تعليم اللغة القائم على المهام اللغوية التواصلية مما يتيحه تعلم اللّغة وفق المقاربة التفاعلية التواصلية: حيث يتم تصميم المهمة اللغوية بصورة تقترب من المواقف الحقيقية؛ فيتعرض المشاركون في المهمة اللغوية التواصلية إلى دخل لغوي يحتاجون إلى استخدام أساليب لغوية معينة للنجاح في تنفيذ هذه المهمة، كما أنهم يتفاعلون فيما بينهم عن طريق الاستماع والتحدث والكتابة.